مقال

# الحياة المعقولة؛ مشروع الإنسان نحو الكمال في فكر العلامة محمد تقي جعفري رحمه الله

علي‌رضا مكتب‌دار
رئيس التحرير




يُعدّ السؤال عن حقيقة الحياة الإنسانية وغايتها من أعمق الأسئلة التي رافقت الفكر البشري عبر مختلف مراحله. فالإنسان، بخلاف سائر الموجودات التي تتحرك وفق مقتضيات الغرائز والضرورات الطبيعية، يمتلك قدرة فريدة على التأمل في ذاته، وإعادة النظر في أهدافه، واختيار الطريق الذي يسلكه في مسيرته الوجودية. ولذلك فإنّ مفهوم الحياة بالنسبة إلى الإنسان لا يمكن اختزاله في مجرد البقاء البيولوجي أو إشباع الحاجات المادية؛ لأنّ وراء هذا المستوى الطبيعي أبعاداً أخرى تتصل بالمعنى والقيمة والكمال.

ومن هذا المنطلق، يميز العلامة محمد تقي جعفري بين مستويات متعددة للحياة الإنسانية، ويرى أنّ وجود الإنسان ليس واقعاً ساكناً، بل هو حركة مستمرة قابلة للصعود والارتقاء. فالحياة تبدأ من المستوى الطبيعي الذي يشترك فيه الإنسان مع الكائنات الأخرى، لكنها لا تنتهي عند هذا الحد، بل يمكنها أن ترتقي إلى مرتبة أسمى يصبح فيها الإنسان واعياً بذاته، ومدركاً لموقعه في منظومة الوجود، وقادراً على توجيه مختلف طاقاته نحو هدف أعلى. وهذه المرتبة هي ما يعبّر عنها العلامة جعفري بمفهوم «الحياة المعقولة».

إنّ الانتقال من الحياة الطبيعية إلى الحياة المعقولة ليس مجرد انتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى، أو من حالة معرفية بسيطة إلى حالة أكثر تعقيداً، بل هو تحول جوهري في طريقة وجود الإنسان ونظرته إلى نفسه والعالم من حوله. ففي الحياة الطبيعية قد يتحرك الإنسان تحت تأثير الغرائز والعادات والظروف المحيطة، أما في الحياة المعقولة فإنه يصبح قادراً على إدارة حياته على أساس الوعي والاختيار والمسؤولية.

ومن هنا يرتبط مفهوم الحياة المعقولة في فكر العلامة جعفري بمفهوم الحياة الطيبة في القرآن الكريم؛ لأنّ الإنسان لا يبلغ حقيقة إنسانيته إلا عندما يتحرر من أسر الدوافع المحدودة، ويتجه نحو الغاية التي تتناسب مع فطرته الإلهية. فالكمال الإنساني ليس في كثرة الامتلاك أو تحقيق اللذات العابرة، بل في بناء شخصية متوازنة تنسجم فيها المعرفة والإرادة والعمل في طريق القرب من الله تعالى.

**الحياة المعقولة؛ حياة الوعي والاختيار والمسؤولية**

يرى العلامة جعفري أنّ الحياة المعقولة هي حياة واعية يقوم فيها الإنسان بإعادة تنظيم قواه وطاقاته الداخلية وفق رؤية هادفة. فالإنسان في هذه المرحلة لا يعيش بصورة عفوية أو مندفعة خلف المؤثرات الخارجية، وإنما يتحول إلى كائن فاعل يختار مواقفه ويحدد اتجاهاته على أساس إدراكه للحقائق والقيم.

فالحرية في هذا المستوى ليست مجرد التحرر من القيود الخارجية، بل هي قدرة الإنسان على قيادة ذاته والسيطرة على نزعاته الداخلية وتوجيهها نحو الأهداف العليا. ولهذا يربط العلامة جعفري بين الحرية الحقيقية وبين نمو الاختيار الإنساني؛ إذ إنّ الإنسان لا يصبح حراً بمجرد امتلاكه القدرة على الفعل، وإنما عندما يمتلك القدرة على اختيار الأفضل والأكمل.

وفي إطار هذه الرؤية، تتشكل شخصية الإنسان تدريجياً؛ فكل اختيار واعٍ، وكل مجاهدة للنفس، وكل خطوة نحو المعرفة والكمال تسهم في بناء الذات الإنسانية. ولذلك فإنّ الحياة المعقولة ليست حالة ثابتة يصل إليها الإنسان ثم يتوقف، بل هي مسار دائم من التكامل والحركة.

ويعبّر العلامة جعفري عن الغاية النهائية لهذا المسار بأنها «المشاركة في النغم الكلي للوجود المرتبط بالكمال الأعلى»؛ أي أن الإنسان عندما يبلغ هذه المرتبة يصبح وجوده منسجماً مع الحركة العامة للكون نحو الغاية والكمال. فهو لا يعيش منفصلاً عن الوجود، بل يدرك أنّ له دوراً ومسؤولية ضمن النظام الكلي الذي أوجده الله تعالى.

ومن ثمار هذا الارتقاء أنّ الإنسان يصبح أكثر قدرة على الإجابة عن الأسئلة الأساسية التي تشكل محور الوعي الوجودي، مثل: من أنا؟ وما حقيقة وجودي؟ ولماذا جئت إلى هذا العالم؟ وما الغاية من حياتي؟ وما علاقتي بالله والإنسان والكون؟ وإلى أين ينتهي مساري؟ وهذه الأسئلة ليست مجرد تساؤلات نظرية، بل هي أسئلة تحدد شكل الحياة واتجاهها.

**التكامل بين العقل والعشق والدين**

عندما يتحدث العلامة جعفري عن «الحياة المعقولة»، فإنّه لا يقصد العقل بمعناه الجزئي المحدود الذي يختزل الإنسان في الحسابات المادية أو المنفعة الفردية. فالعقل في منظومته الفكرية يمثل قوة هداية وإدراك شاملة، تتكامل مع الفطرة والأخلاق والعشق نحو الحقيقة.

ولهذا لا يرى العلامة جعفري أنّ هناك تعارضاً بين العقل والعشق، بل يؤكد أنّ الإنسان المتكامل هو الذي يجمع بينهما. فالعقل يمنح العشق الاتجاه الصحيح، ويمنع تحوله إلى انفعال أعمى، بينما يمنح العشق العقلَ الطاقةَ والحيويةَ التي تجعله متجاوزاً للجمود والحسابات الضيقة.

ومن هنا أيضاً تتضح مكانة الدين في مشروع الحياة المعقولة؛ فالدين ليس بديلاً عن العقل، ولا يقف في مواجهته، بل يمثل امتداداً له وهداية مكملة لمساره. فالعقل هو النور الداخلي الذي أودعه الله في الإنسان، والدين هو الهداية الخارجية التي تكشف له الطريق وتساعده على الوصول إلى غايته العليا.

وبناءً على ذلك، تقوم الحياة المعقولة على تحقيق الانسجام بين عالم الواقع وعالم القيم، أي بين «ما هو موجود» و«ما ينبغي أن يكون». فالإنسان لا يكتفي بفهم الواقع كما هو، بل يسعى إلى الارتقاء به من خلال المبادئ العقلية والأخلاقية التي تمنح حياته المعنى والاتجاه.

**العلاقات الأربع في بناء الحياة المتوازنة**

ومن الخصائص الأساسية للحياة المعقولة أنّها لا تنظر إلى الإنسان بوصفه كائناً منفصلاً عن محيطه، بل تؤكد ضرورة تنظيم علاقاته الأساسية. فالإنسان يعيش ضمن شبكة من الروابط التي تحدد طبيعة وجوده، وأهمها علاقته بذاته، وعلاقته بالله تعالى، وعلاقته بالآخرين، وعلاقته بالعالم والوجود.

فعلاقته بذاته تقوم على معرفة النفس وتهذيبها وتحريرها من التناقضات الداخلية. أما علاقته بالله فتقوم على العبودية الواعية والشعور بالارتباط بالمصدر المطلق للكمال. وعلاقته بالآخرين تتأسس على المسؤولية والتعاون والاحترام المتبادل. وأما علاقته بالكون فتقوم على إدراك موقع الإنسان ضمن النظام الوجودي العام.

ولا يمكن للإنسان أن يحقق التوازن الحقيقي إلا من خلال انسجام هذه العلاقات جميعاً؛ لأنّ اضطراب واحدة منها يؤدي إلى خلل في البناء الإنساني العام.

**التحولات الداخلية؛ من الذات الطبيعية إلى الذات المتعالية**

إنّ بلوغ الحياة المعقولة يحتاج إلى تحولات عميقة في داخل الإنسان، فهي ليست مجرد مجموعة من الأفكار التي يتبناها الفرد، بل هي حالة وجودية تتطلب تغييراً في المشاعر والإرادة وطريقة النظر إلى الحياة.

فالمحبة في بدايتها قد تكون مرتبطة بالمصالح والرغبات الشخصية، لكنها ترتقي في مسار التكامل لتصبح محبة واعية للخير والجمال والكمال. كما أنّ الفكر ينتقل من التشتت والسطحية إلى العمق والترابط، ومن التقليد غير الواعي إلى البحث عن الحقيقة.

وكذلك تتحول الآمال الإنسانية من مجرد رغبات مرتبطة بالمصالح القريبة إلى أهداف سامية تمنح الإنسان القدرة على الاستمرار في طريق النمو. وتتحرر الإرادة تدريجياً من هيمنة النزوات العابرة، لتصبح إرادة واعية قادرة على الاختيار والمسؤولية.

وفي هذه الرحلة يتجاوز الإنسان حالة الانغلاق على الذات، ويدرك أنّ وجوده مرتبط بالآخرين وبالمسار العام للإنسانية. كما يتحرر من وهم الاستقرار النهائي في الدنيا، ويرى حياته حركة مستمرة نحو الكمال الأبدي.

**الخلاصة**

تمثل نظرية الحياة المعقولة عند العلامة محمد تقي جعفري رؤية شاملة للإنسان والحياة؛ فهي تنقل الإنسان من مستوى الوجود الطبيعي المحدود إلى أفق أوسع يقوم على الوعي والاختيار والكمال.

فالحياة المعقولة ليست هروباً من الواقع أو رفضاً للطبيعة الإنسانية، بل هي تنظيم لهذه الطبيعة وتوجيه لطاقاتها نحو الغاية العليا. إنها حياة يتكامل فيها العقل والإيمان والأخلاق، ويصبح الإنسان فيها أكثر قدرة على معرفة نفسه، وفهم علاقته بالله والعالم، وتحقيق الهدف الذي من أجله وُجد.

وبذلك تكون الحياة المعقولة مشروعاً متكاملاً لبناء الإنسان الذي لا يكتفي بأن يعيش، بل يعرف لماذا يعيش وكيف يجعل من وجوده طريقاً نحو الحقيقة والكمال.

مقال

# التماسك المجتمعي الديني أحد عناصر قوة النظام الاجتماعي الديني الشيعي

د. علي المؤمن

من أهم ما يميز النظام الاجتماعي الديني الشيعي؛ تماسكه الداخلي وتلاحم مكوناته وتعاون قواعده البشرية في مختلف بلدان التواجد الشيعي. وخلال مرحلة تأسيس النظام في عصر الغيبة، والمراحل التي تلتها، عمل زعماء الشيعة الدينيون وفقاؤهم على تحكيم قواعد هذا التماسك وفق المبادئ العقدية الإسلامية، فضلاً عن السياقات العملية والصياغات الهيكلية التي تشد مكونات النظام وعناصرها البشرية ببعضها.

وأخذ هذا التماسك، بمرور الزمن، صيغة وحدة المصير المجتمعي الديني، وبات مرتكز قدرة الشيعة على دفع التحديات المشتركة. وظلت أواصر هذا التماسك تزداد قوة كلما كبرت التحديات والتهديدات المشتركة التي تستهدف وجود الشيعة وحريتهم العقدية والمذهبية وشعائرهم وطقوسهم، وتصاعدت حدة القمع ضدهم. حتى بات هذا العنصر من أهم ما يميز النظام الاجتماعي الديني الشيعي عن غيره، واحد عناصر قوته الأساسية. ويستوعب عنصر التماسك والتعاون هذا أغلب مجالات الحياة، بما فيها الجانب الشعائري والطقسي والاجتماعي والمالي والسياسي. وفي الوقت نفسه؛ ظل تفكيك هذا العنصر وضربه، أحد أكثر الأمور التي تشغل خصوم الشيعة وتستأثر بمخططاتهم.



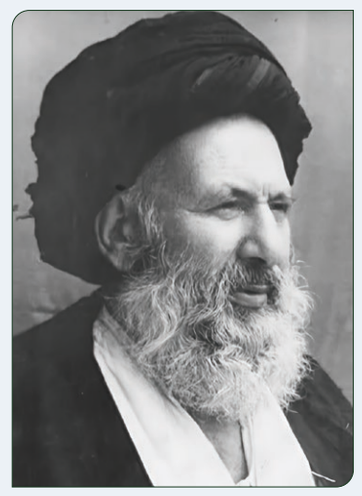

ولعل ما تشهده محاولات بث الفرقة وخلق الفتن والأزمات بين شيعة منطقة غرب آسيا، وخاصة بين شيعة العراق ولبنان وإيران، بل بين شيعة البلد الواحد، بالشكل الذي يحدث في العراق منذ العام ٢٠٠٣ وحتى الآن؛ إنّما هو التطبيق الواضح لمخططات الخصوم، وفق ما تزال تكشفه الوثائق الكثيرة. وتقف أنظمة السعودية وإسرائيل وأمريكا، فضلاً عن حزب البعث، في مقدمة الجهات التي تمارس الدور التقليدي في الوقت الحاضر، في تمزيق النسيج الاجتماعي الديني الشيعي، وهي الجهات التي أخذت ـ بالتدريج ـ مكان تركيا العثمانية وبريطانيا والنظام العراقي السابق.

وكما هو ثابت نظرياً وقائم ميدانياً؛ فإنّ الشيعة هم نسيج اجتماعي ديني واحد، والتمييز بينهم على أساس القومية واللغة والجغرافيا، منطق لا يصمد أمام رفض القرآن والرسول وأهل بيته: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))، ((لا فرق بين عربي وأعجمي إلّا بالتقوى))، كما لا يستقيم هذا المنطق مع بديهيات عالمية المرجعية الدينية الشيعية ومع هيكلية منظومتها وامتداداتها، ومع طبيعة النظام الاجتماعي الشيعي العالمي الذي تقوده المرجعية ومع تقدم العنصر المذهبي في الهوية الشيعية. أما تكريس الايديولوجية القومية العنصرية فهو جزء من الحرب الشاملة التي تقودها اليوم أمريكا وبريطانيا والكيان الإسرائيلي والسعودية والبعث والجماعات الطائفية، بهدف تمزيق الشيعة وتشتيت مساراتهم وكشف ظهورهم وإضعاف قواهم. ومن أسس سياسة التمييز العنصري هذه؛ فهم آل أمية ومن تبعهم، وصولاً الى أنظمة بهلوي وأتاتورك والبعث.

رجال صنعوا التاريخ

# السيد الشاهرودي والوعي في مواجهة دعاية الاستعمار

أمين أميني فر
باحث في التاريخ الإسلامي- حوزة النجف الأشرف



خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد هجوم الجيش البريطاني على العراق وسقوط البصرة وبغداد، أبدت مدينة النجف الأشرف صمودًا لافتًا في مواجهة التقدم العسكري البريطاني، بمشاركة العلماء وطلبة الحوزة العلمية والمرجعية الشيعية وشيوخ العشائر الأربع. وقد شهدت المدينة في تلك المرحلة حالة من المقاومة والاستنفار، واستمر حصار النجف مدة طويلة، في ظل ظروف سياسية وعسكرية بالغة الصعوبة.

وخلال هذه الحرب والمعارك التي رافقتها، تمكّن أهالي النجف من أسر عدد من الجنود البريطانيين، غير أن المدينة سقطت في نهاية المطاف من الناحية العسكرية، وبسطت بريطانيا سيطرتها على العراق. وفي تلك المرحلة، كان المرحوم السيد الشاهرودي من الشخصيات العلمية المعروفة في النجف، ومن فضلاء الحوزة العلمية، وقد عاصر عن قرب الأحداث والتحولات التي شهدتها المدينة في أعقاب الاحتلال البريطاني.

وفي أحد الأيام، بعد سقوط النجف عسكريًا، كان السيد الشاهرودي جالسًا في إيوان الطابق العلوي من مدرسة الآخوند الكبرى، منشغلًا بالمطالعة، حين انتبه إلى دخول أحد الضباط الإنكليز إلى المدرسة، حيث أخذ يتحدث مع الطلاب في باحتها، وكانوا يشيرون إلى السيد الشاهرودي. فصعد الضابط سلالم المدرسة حتى وصل إلى الإيوان في الطابق العلوي، حيث كان السيد جالسًا، ثم قدّم إليه ورقة كُتبت فيها عبارات باللغة الفارسية.

أخذ السيد الشاهرودي يقرأ الرسالة، وتوقّف عند العبارات الواردة في مطلعها، والتي جاء فيها: «دولة بريطانيا العظمى، الدولة المقتدرة، الغالبة، العادلة...». ويبدو أن هذه العبارات كانت تهدف إلى إبراز مكانة بريطانيا وقوتها العسكرية والسياسية، وإضفاء صفات إيجابية على وجودها في العراق، من خلال تقديمها بوصفها دولة قوية ومنتصرة وعادلة.

وعندها علّق السيد الشاهرودي على ما ورد في الرسالة قائلًا: «أما وصفها بالعظمى، فيمكن تأييده، لأنه يدل على وجود جيوشها وانتصاراتها. وكذلك وصفها بالمقتدرة صحيح، لأنها أثبتت قدرتها، كما أن وصفها بالغالبة صحيح أيضًا، لأنها انتصرت في الحرب. أما وصفها بـ«العادلة»، فهذه مسألة لا يمكن تأييدها.»

ومن خلال هذا التعليق، ميّز السيد الشاهرودي بين الوقائع التي يمكن إثباتها، كالقوة العسكرية والانتصار في الحرب، وبين الأوصاف التي لا تثبت بمجرد امتلاك القوة أو تحقيق الغلبة، وفي مقدمتها صفة العدالة. فما إن سمع الضابط الإنكليزي هذه الكلمات حتى انتزع الورقة من يده وغادر المكان على الفور.

وتكشف هذه الحادثة عن جانب من وعي السيد الشاهرودي بطبيعة الخطاب الاستعماري، وقدرته على التمييز بين مظاهر القوة العسكرية وبين الادعاءات السياسية والأخلاقية التي تُقدَّم لتبرير السيطرة على البلدان الأخرى. فلم يكن الانتصار العسكري، في نظره، دليلًا على عدالة المنتصر، كما أن امتلاك القوة لا يمنح صاحبه حق تقديم نفسه بوصفه صاحب رسالة إنسانية أو أخلاقية.

وفي السياق نفسه، كان السيد الشاهرودي يغتنم الفرص المناسبة ليحدّث أبناءه وأحفاده وسائر أفراد أسرته، بأسلوب واضح ومؤثر، عن طبيعة علاقة الدول الأجنبية بالدول الصغيرة، محذرًا من الاعتقاد بأن تدخل القوى الكبرى في شؤون هذه الدول ينطلق بالضرورة من الحرص على مصالح شعوبها أو مساعدتها. وكان يوضح لهم أن المصالح الخاصة هي المحرك الأساسي لهذه العلاقات، وأن مواقف الدول الكبرى تتغير تبعًا لما تقتضيه مصالحها وتوازنات القوة فيما بينها.

وكان يضرب لهم مثالًا تقريبيًا لتوضيح فكرته، فيقول:

«يا أبنائي، إن هؤلاء الأجانب لا يريدون الخير للمسلمين أبدًا، وإنما يسعون وراء مصالحهم الخاصة. فإن بقاءنا نحن الدول الصغيرة على قيد الحياة يشبه بقاء خروف بين ذئبين؛ فكلما استعدّ أحد الذئبين للهجوم على الخروف وافتراسه، عوى الذئب الآخر، وكذلك يفعل الذئب الأول عندما يستعدّ الذئب الثاني للهجوم. وبهذه الطريقة، بقيت الدول الصغيرة على قيد الحياة.»

ومن خلال هذا المثال، أراد السيد الشاهرودي أن يبيّن لأفراد أسرته أن بقاء بعض الدول الصغيرة قد لا يكون نتيجة حرص القوى الكبرى على استقلالها أو حماية شعوبها، وإنما قد يرتبط بتعارض مصالح تلك القوى وتنافسها فيما بينها. وبذلك، كان يلفت انتباههم إلى ضرورة فهم طبيعة العلاقات الدولية بعيدًا عن الشعارات والادعاءات، والنظر إلى مواقف الدول من خلال مصالحها الفعلية وسلوكها على أرض الواقع.

الآفاق
• السنة الخامسة
• الـ ١٧٢
• الإثنين ٦ جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ.ق
• ٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• مركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمي
• مدير التحرير: علي‌رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• مسئول الطبع: مصطفى اويسي
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +
• التصميم والإخراج الفني: حسن حاجي بور
■ ملاحظة: الآراء والأفكار الواردة في المقالات والدراسات المنشورة تعبّر عن وجهات نظر أصحابها، ولا تمثّل بالضرورة الرؤية التحريرية لمجلة «الآفاق».

## شعر وقصيدة

**بمناسبة وفاة السيدة أم البنين عليها السلام**

حميد حلمي البغدادي

قُمْ وجَدِّدْ روايةَ الحُزْنِ عَهْدَا
واندُبِ المَرأَةَ التَّليدَةَ مَجْدَا
ناعيَ الطفِّ في المدينةِ قَبْلَاً
عاوِدِ النَّعْيَ في زمانٍ تردَّى
وَانشِدِ الشِّعرَ بالأنينِ بُكاءً
في التي ناصَرَتْ حُسينَ المُفَدّى
قدَّمتْ صَفوةَ الكِرامِ فِداءً
يومَ عاشورَ حينَ واسَتْهُ وُلْدا
همْ بَنو زوجِها العظيمِ وصيّاً
كانَ للدِّينِ بعدَ أحمدَ غِمْدَا
هي أُمُّ البنينَ طابَتْ عطاءً
ولِبِنْتِ النبيِّ كانتْ مَوَدّا
ناصَرَتْ ثورةَ الحسينِ إماماً
وفَدَتْ دُونَهُ البواسلَ أُسْدَا
يومَ عبَّاسِها أعَزَّ البَرايا
رابِطُ الجأشِ للجُيوشِ تَحدّى
في الوغى بدَّدَ الجُموعَ ذئاباً
وأزاحَ العِدى عن الماءِ وردا
واشتهى الشِرْبَ ظامئاً وجَفَاهُ
كيف يَروي الحَشا ويُبْرِدُ كَبْدا؟
والحسينُ الحبيبُ يرجُو مَجيئاً
لأخٍ ذابَ في الفَضائلِ عَبْدا
نعُمَتْ عينُ مَنْ حَبَتْهُ وَفاءً
ورضِاعاً بكلِّ نُبْلٍ تَبدَّى
فَلِمثلِ العباسِ دانَتْ رِقابٌ
وإليهِ خيرُ الأزاهيرِ تُهْدَى
ولأُمِّ العباسِ زَوجِ عَليٍّ
أجمَلُ الشُكرِ وارِفاً لن يُعَدَّا
هي جادتْ بأربعٍ هم بَنُوها
ثلةُ الطُّهرِ والمُضحُّونَ وَجْدا
أمَةُ اللهِ يا عُلاها مَكاناً
مَعَ طه وفاطمٍ هيَ سُعْدَى
في جِنانٍ عباسُ فيها عظيمٌ
حازَ فيها المُنى وخَيراً مَرَدّا

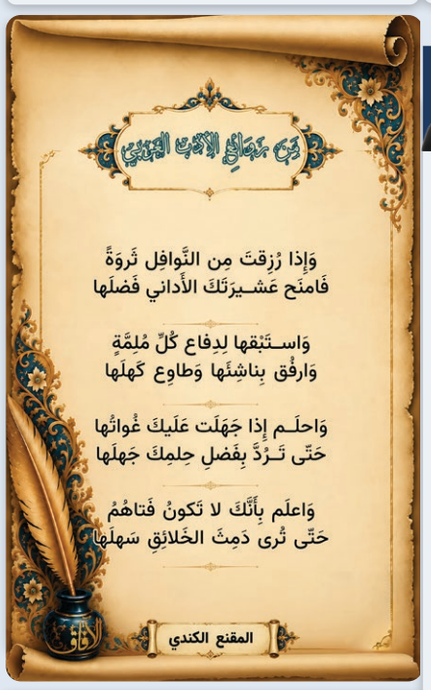
نصيحة نفسية

## نصيحة نفسية

**في أهمية العزم**

«إنَّ العزم هو جوهر الإنسانية، ومعيار ميزة الإنسان، وإن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه».

سند المعارف الإلهية ميرزا محمد علي شاه آبادي (عليه رحمة الباري).




نرحب بآراء القراء الأعزاء عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444@gmail.com